

الفائق في غريب الحديث

الحجَّ - أنه كلامان . كأنه قال كذب يعني رجلا ذمَّ - إليه الحج ثم هيَّج المخاطب على الحج ; فقال : عليك الحجَّ . هذا وعندي قولٌ هو القول وهو أنها كلمةٌ جرتْ مَجْرَى المثل . في كلامهم ولذلك لم تُصَرِّف ولزِمَتْ طريقةٌ واحدة في كونها فعلاً ماضياً معلَّماً بالمخاطب ليس إلا . وهي في معنى الأمر كقولهم في الدعاء : رَحِمَكَ اللَّهُ والمُرَاد بالكذب الترغيب والبَعْث . من قول العرب : كَذَبَتْهُ نفسه إذا منَّته الأمانى وخَيَّلَتْ إليه من الآمال مالا يَكَاد يَكُون . وذلك ما يُرَغَّبُ الرجل في الأمور ويبعثه على التعرُّض لها . ويقولون في عكس ذلك : صَدَقَتْهُ نفسه إذا ثَبَّتَتْهُ وخَيَّلَتْ إليه المَعْجَزَةَ والنَّكَاد في الطلب . ومن ثمت قالوا للنِّفْسِ الكَذُوبِ . قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للرجل يتهددُ الرجل ويتوعده ثم يكذب ويَكُفُّ : صَدَقَتْهُ الكَذُوبُ وأنشد : ... فَأَقْبِلْ رَحْوَِي عَلَى قُدْرَةٍ ... فلمَّا دَنَا صَدَقَتْهُ الكذوب . . .

وانشد الفراء : ... حتى إِذَا ما صَدَقَتْهُ كذبه ... أي نفوسه جعل له نفوساً لتفَرُّق الرأْيِ وانتشاره . فمعنى قوله : كذبك الحجَّ ليكَذِّبُكَ ; أي لينشَّطُكَ وَيَبْدَعُكَ على فعله . وأما كذبَ عليك الحجَّ . فله وَجْهَان : أَحَدُهُما : أَنْ يُضَمَّ نَ معنى فعل يتعدي بحرف الاستعلاء أو يكون على كلامين كأنه قال : كذب الحجَّ . عليك الحجَّ أي ليرغبك الحج ; هو واجب عليك ; فأضمر الأَوَّلَ لدلالة الثاني عليه . وَمَنْ نَصَبَ الحجَّ فقد جعل عليك اسم فعل وفي كذب ضمير الحجَّ .

كذب الزبير رضي الله تعالى عنه حمل يوم اليرموك علبالروم وقال للمسلمين : إن شَدَدْتُ عليهم فلا تُكْذِّبُوا . التكذيب عن القتال : ضدُّ الصَّدْقِ فيه ويقال : صدَّقَ القتال إذا بذل فيه